إستراتيجية البناء الحجاجي التداولي في منامات ركن الدين الوهراني

The strategy of the argumentation structure is deliberative in the Minamat of the religious pillar of Wahrani

حاج هني هجيرة [1] *

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)، h.hadjhenni@univ-chlef.dz

أ.د/محمد زيوش [2]

جامعة البليدة -2- (الجزائر)

مخبر اللغة الوظيفية

تاريخ الارسال2020-01-08 تاريخ القبول 03-04-2020 تاريخ النشر:2023/03/20

الملخص:

يعدّ الحجاج من بين أهم النظريات التي تهتم بها التداولية إلى جانب نظرية التلفظ وأفعال الكلام، وهو يركز أساسا على دراسة الطريقة والأسلوب الذين يتبناهما المتكلم للتعبير عن معتقدات المتلقي وإقناعه بالموضوع المراد إيصاله كالإشارات والعبارات والحجج؛ إذ إنه لا يمكن لأي مخاطب سواء أكان شاعراً أم ناثراً أن يستغني عن هذا الأسلوب الذي يهدف إلى استهواء المتلقي واستمالته، ولأن المقامات تتوفّر على خصوصية الاستمالة والتأثير والإقناع فإن ذلك يجعل منها خطاباً بالدرجة الأولى، ولأجل ذلك آثرنا موضوعا للبحث وخضنا غمارها، وقد وقع الاختيار على المقامة الجزائرية عند ركن الدين الوهراني بصفة خاصة، حيث بحثنا عن حجاجية المنامات ومدى توفرها على آليات الحجاج وتوظيفها لعنصر الإقناع ، وقد تمثلت هذه الدراسة مباحث أولاها كان عن الإطار المفاهيمي للحجاج، ثم تناولنا في المبحث الثاني الحجاج في الفكرين العربي والغربي ، والمبحث الثالث عرضنا فيه تحليل مقامة من مقامات ركن الدين الوهراني، واستخرجنا الآليات الحجاجية الكامنة فيها، ثم اختتم البحث بأهم نتائج البحث المتوصل إليها.

الكلمات المفتاحية:حجاج، إقناع، تأثير، استمالة، مقامة، الآليات الحجاجية.

Abstract:

One of the most important theories of parliamentary concern, together with the theory of speech and speech, is the argument, which focuses mainly on the way and the way in which the speaker purport to express the beliefs of the recipient and convince him of the subject to be communicated, such as references, phrases and arguments; Because no one who is a poet or an imposer can dispense with this method of giving the recipient a voice and listening, and because the denominators are available on the privacy of the form, influence and persuasion, this makes them a speech in the first place, and for that we have raised the subject of research and made it a purpose. In particular, the Algerian establishment was chosen at the religious pillar of Al-Wahrani, where we searched for the masonry and its availability on the mechanisms of pilgrims and applied them to the persuasion, the first of

* المؤلف المرسل:

which was the conceptual framework of the pilgrims, and the second discussed the pilgrims in the Arab and Western thought. The third research presented an analysis based on the pillars of the religious pillar of Al-Wahrani, and we drew out the underlying volumetric mechanisms, and then concluded the research with the most important results of the research.
Key Words : Arguments, persuasion, effect, appeal, denominator, volumetric mechanisms.

تهدف نظرية الحجاج إلى دراسة التقنيات الخطابية التي تمكن المتكلم من استمالة المتلقي والتأثير فيه لتغيير وجهة نظره أو تعديلها عبر عرض الحجج المناسبة، كما تهتم أيضا بالشروط التي تسمح للحاج بأن ينشأ في الخطاب بالإضافة إلى أنها ترصد الآثار الناجمة عن ذلك التطور، أي أنها تحتض ما يسميه القدامى بفن الجدل.

الإطار المفاهيمي للحجاج:

أ– الحجاج لغة:

يتصل الحجاج بالجذر اللغوي (ح.ج.ج)،وجاء في لسان العرب الحج: القصد...يقال: حاجته،حاجه حِجاجاً ومُحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها(...) والحجة البرهان؛ وقيل الحجة ما دوفع به الخصم[1].

وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة وهو رجل مُاجُ أي جدل والتحاج، التخاصم، وجمع الحجة حجج وحجاج وحاجّة ومحاجة وحِجاجاً: نازعه الحجة، وحجه يحجّه حجاً، عليه على حجته، واحتجّ بالشيء: اتّخذه حجة؛ قال الأزهري: إنما نسيت حُجة لأنها تُحجُّ أي تقصد لأن القصد لها وإليها، والحِجّة: الدليل والبرهان[2].

ومن جملة التعاريف السابقة أن المعجمين القدامى اشتركوا في نقطة واحدة وهي دلالة الحجاج على التخاصم والمعارضة.

ب– اصطلاحاً:

لقد أورد بعض ادارسين تعريفات للحجة والحجاج نذكر منها: عرّف أبو هلال العسكري الحجة والحجاج قائلا: "الحجة هي الاستقامة في النظر والمضي فيه على سنن مستقيم من رد الفرع إلى الأصل، وهي مأخوذة من المحجة وهي الطريق المستقيم وهذا هو فعل المستدل...لأن الحجة مشتقة من معنى الاستقامة في القصد حج يحج إذا استقام في قصده...والاحتجاج هو الاستقامة في النظر على ما ذكرنا سواء كان من جهة ما يطلب معرفته أومن جهة غيره"[3]، هذا فيما يخص الحجة أما الحجاج فقد عرفه بعض الدّارسين العرب المعاصرين وعلى رأسهم طه عبد الرحمن قائلا:" أنّه كل منطوق به مُوجّه إلى الغير لإفهامه دعوة مخصوصة يحق له الاعتراض"[4]، فتصوّره للحجاج مبني على أساس "وجود نية الإدعاء عند المتكلم ونية الاعتراض لدى المتلقي"[5].

وفي السياق نفسه يقدم محمد الولي تعريفا له يُورد فيه أنه:" يقصد إلى دعم رأي ما بواسطة الدّفاع عنه والتنفيذ لما قد يكون رأيا معارضا له وهذا يعني أن الحجاج هو دوماً توجه نحو شخص أوجهة لأجل الإقناع وتعديل موقفه أو تثبيته".

أما مسعودي الحواس فيرى بأن الخطاب الحجاجي هو خطاب موجّه وكل خطاب يهدف إلى الإقناع يكون له بالضرورة بُعْد حجاجي"[6]، وهذا ما ذهب إليه أيضا عبد الهادي بن ظافر الشهري، حيث ربط تعريف الحجاج بالإقناع يقول:" الحجاج هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها وتتجسد عبرها إستراتيجية الإقناع"[7].

أما عند علماء الغرب فنجد فيليب بروتون يرى أن الحجاج عملية تواصل مع الآخر من أجل التأثير وهذا التأثير ينتج من خلال استعمال وسائل مختلفة وذلك في قوله:" الحجاج وسيلة قوية يهدف إلى تقسيم وجهة النظر مع الغير (والذي يمكن ان تكون من نتائجه التأثير) مستبعداً ممارسة العنف المقنع مستعينا بالأفواه والبرهنة العلمية"[8].

ندرك من خلال هذه التعاريف أن الحجاج يعتمد أساسا على مرسل ومرسل إليه، حيث يعود الدور الكبير في هذه العملية إلى المرسِل نظراً لما يبذله من جهود ذهنية للحصول على الحُجج مقنعة، وعليه أن يكون بارعاً في اختياره لهذه الحجج نظراً لتفاوتها في درجات الإقناع.

ويُستغلُّ مصطلح الحجاج في عدّة مجالات وخصوصاً في المسائل ذات الطابع الفكري والفلسفي التي كثيرا ما يعتيرها الخلاف في وجهات النظر، حيث يستعمل في علوم النحو واللغة والحديث والفقه والأصول وعلم الكلام... الاستدلالي وتمييزُ الحق من المحال ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حُجّة ولا اتضحت محجة ولا عُلم الصحيح من السقيم ولا المعوجُ من المستقيم"[9].

وهذا يعني أن الحجاج علم من العلوم له أركانه وطرائقه ووجوهه المميزة له، المحدّدة لماهيته وغاية هذا العلم هي معرفة الحقيقة والتمييز الدقيق بين الحق والباطل والصواب والخطأ والمعوّج والمستقيم وما شابه ذلك من المتناقضات، ومن هنا يكتسي هذا العلم أهميته وخطورته، وقد اشتغل حديثا بالحجاج ثلة من الدارسين من بينهم على سبيل المثال لا الحصر طه عبد الرحمن وخاصة في كتابه اللسان والميزان أو التكوثر العقلي الذي عقد فيه بابا كاملا سماه "الخطاب والحجاج" واستعرض فيه أنواع الحجج وأصناف الحجج وهو يعرّف الحجاج بقوله:" إنّ الحجاج هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[10].

وقد فرق القرآن بين معنى الحجاج والجدل في الاستخدام حيث أشار إلى ذلك محمد الطاهر بن عاشور قال بشأن حاجّ في قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ**﴾(البقرة/258)، ومعنى حاجّ خاصم، وهو فعل على زنة المفاعلة، ولا يعرف لت(حاجٌ) في الاستعمال فعل مجرّد دال على وقوع الخصام، ولا تعرف المادة التي اشتق منها"[11].

وقال في شأن الجدل عند تفسير قوله تعالى:﴿ **وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ** ﴾(النساء/107)،والمجادلة مفاعلة من الجدل، وهي القدرة على الخصام والحجة فيه وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك[12].

الحجاج في الفكرين الغربي والعربي:

- الحجاج عند العرب:

1- في القديم:

تمتد جذور الحجاج في الخطاب العربي، حيثُ لعب دورا مهما في الحياة السياسية والعقدية في البيئة العربية الإسلامية علاوة على استخدام البنية الحجاجية في الخطاب العلمي البلاغي على نحو ما نرى في دفاع عبد القاهر الجرجاني عن إعجاز القرآن بإقناع الناس بنظرية النظم مما طبع دلائله بطبيعة حجاجية واضحة، كما شغل الحجاج بعض القدماء جنسا خاصا من الخطاب ويمكن الوقوف على محاولتين مهمتين في دراسة لكل من أبي الحسن إسحاق بن وهب وحازم القرطاجني، أما ابن وهب فقد قدم في كتابه:" البرهان في وجوه البيان" "تعريفا دقيقا للجدل والمجادلة إذ جعل منه خطابا تعليميا إقناعيا، وميز من خلاله بين أنواع الجدل وقسمه إلى جدل محمود وآخر مذموم كما تحدث في بحث من مباحثه حول "أدب الجدل" واشترط مجموعة من الشروط التي يجب توفرها في الحجاج كان لا يقبل قولا إلا بالحجة ولا يرد إلا لعلة، وألا يجيب فراغ السائل من سؤاله وألا يستصغر خصمه ولا يتهاون فيه..."[13].

وأما حازم القرطاجني فإن أهم ما يمكن ان يستخرج من نظريته العامة في التخيل والإبداع من خلال مؤلفه:" منهاج البلغاء وسراج الأدباء" أنه ميز بين جهتين للكلام، حيث يقول:" لما كان كل الكلام يحتمل الصدق والكذب وإما أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص وإمّا أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال، كما تحدث أيضا عن طريقتين لإقناع الخصم وهو يقول في ذلك "التمويهات تكون فيما يرجع إلى الأقوال والاستدراجات تكون بتهيئة المتكلم بهيئة من يقبل قوله أو استمالته المخاطب واستلطاف له حتى يصيبه بذلك كلامه مقبولا عند الحكم وكلام خصمه غير مقبول"[14].

وأما أبو هلال العسكري فقد ربط الحجاج بالشعر، معناه أن الشعر له وظيفة حجاجية كبيرة لأن الشاعر يقول كلاماً يحس ويشعر به دون غيره لذلك فهو يريد أن يصل إلى مرام وأهداف حجاجية من خلال شعره يقول أبو هلال العسكري:" وهو الذي يملك ما تعطف به القلوب النافرة ويؤنس القلوب المستوحشة وتلين به العريكة الأبية المستعصية ويبلغ به الحاجة وتقام به الحجة"[15].

فالشعر حسب رأيه هو الفن الأساسي الذي تقام به الحجج والشعر قد ينهض بوظيفة الحجاج وليس بوظيفة الجدل حسبه، كما تكلم أيضا عن قضية المقام وكيف يضطلع في الحجاج.

وهكذا حاولنا تقديم نظرة بعض البلاغيين العرب إلى مفهوم الحجاج بمعناه الحديث قديما بتسميات مختلفة وذلك باختلاف توجهاتهم فقد ورد بمعنى البيان ومعنى الجدل...

ويمكن القول ههنا أن الحجاج في الفكر العربي الإسلامي القديم انحصر في لونين خطابيين هما: "الجدل والمناظرة فيما بين زعماء الملل والنحل" وفيما بين النحاة والمناطقة وفيما بين الفلاسفة والمتكلمين"[16].

- **الحجاج في الفكري الغربي:**

الحجاج عند السوفسطائيين:

السوفسطائية حركة فلسفية وظاهرة اجتماعية برزت في القرن الخامس قبل الميلاد وقد تميز روّادها بالكفاءة اللغوية وبالخبرة الجدلية"وقد لعب وجودهم دوراً كبيراً في تطوير البلاغة القولية التواصلية والحياة الفكرية عامة"[17]، وقد كانوا يعقدون نقاشات ذات منزع لغوي، الأمر الذي أسفر عن اهتمامهم البالغ بالطرائق الحجاجية والإقناعية.

لقد اهتم السوفسطائيون ببنية كلمن الكلمة والجملة وبحثوا في السبل الممكنة التي بها يتحقق الإقناع وتغيير مواقف الآخرين واستعانوا في سبيل ذلك بخبرة بالغة بمقامات وبكليات إجراء اللغة بحسب المقاصد والظروف التواصلية.

الحجاج عند أرسطو:

لقد تأسست دراسة أرسطو للحجاج على دعامتين أساسيتين:

"الأولى يختزلها مفهوم الاستدلال والثانية تقوم على البحث اللغوي الوجودي"[18]، فالاستدلال الحجاجي عند أرسطو "تفكير عقلي بواسطته يتم إنتاج العلم"[19].

وهذا الاستدلال لا ينطلق من فراغ بل من معارف سابقة، وبالتالي يمكن أن نستعمل الاستدلال الحجاجي في الخطاب الفلسفي والبلاغي"بوصفه تلك المنهجية التي سلكها الفيلسوف والبلاغي بهدف إرساء حقيقة معينة ضمن مدار واحد، ومركز هذا المدار عرض الحقيقة العقلية أو اللفظية عرضا استدلاليا متماسكا تواكبه إجراءات حجاجية معروضة في تناسق مع إنجازات لسانية وبلاغية وغيرها"[20].

يؤسس أرسطو فهمه للحجاج على منطلقات استدلالية وهذا ليمنح النظرية الصدى الواسع في العلوم الإنسانية، أما الدعامة الثانية للنظرية الأرسطية فتتمثل في البحث اللغوي في علاقته بالإنسان والوجود فأكد أن الإنسان لا يحيا إلا باللغة وإدراكه لذاته ووسطه لا يتم إلا بها، وبهذا التوجه يكون أرسطو قد حول مسار الخطابة والحجاج عن كونهما قائمين على التأثير والتحريض والتملق إلى كونهما عمليتين عقليتين فالسمة العقلية تجعل الحجاج مؤسسا على خطة معينة، يمكن للمتعلقين الدخول إلى نسقهما الأسلوبي فيتم بذلك الوعي بالبنى الحجاجية، وهو إحساس يدعم انخراط المتلقي في الحجاج المقدم.

فالحجاج منذ أرسطو فعالية ونشاط خطابي بلاغي تداولي يشكل مهادا منهجيا للحوار الفلسفي(الذاتي) والخارجي (الجماعي).

- **الحجاج عند "بيرلمان" و"تيتيكا":**

لقد أسهمت بحوثهما في الكشف عن جوانب عميقة في الدرس البلاغي المعاصر بوصفهما تأملا في اللغة والفكر وذلك من خلال كتاب"بيرلمان" "للبلاغة الجديدة" « La nouvelle Théorique » 1958 وهو عنوان فرعي لكتاب" مصنف في الحجاج" وكتاب آخر بالاشتراك مع "تيتيكا" دراسة الحجاج Traité de L'argumentation الذي درسا فيه التقنيات التي تؤدي إلى التسليم بالموضوعات المعروضة ويقدم برلمان تعريفا للحجاج يجعله" جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة حمل المتلقي على الاقتناع بما تعرضه عليه أو لزيادة في حجم هذا الاقتناع"[21]، معتبرا أن غاية الحجاج الأساسية إنما هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهينه للقيام بالعمل على هذا النحو نتبين أن مؤلف بيرلمان وتيتيكا الموسوم بـ" مصنّف في الحجاج" الخطابة الجديدة إنما يتنزل الحجاج في صميم التفاعل بين الخطيب وجمهوره وصلة هذا العمل بالخطابة الأرسطية واضحة ولكن المؤلفين لم يكتفيا مع ذلك بمجرد الأخذ والتقليد فلئن استندا في تعريفهما للحجاج على صناعة الجدل من ناحية وصناعة الخطابة من ناحية أخرى فإنهما حرصا كل الحرص على جعل الحجاج أمرا ثالثا مفارقا لهما رغم اتصاله بهما في الحجاج حسب التعريف المذكور يأخذ من الجدل للتمشي الفكري الذي يقود إلى التأثير الذهني في المتلقي وإذعانه إذعانا نظريا مجردا لفحوى الخطاب وما جاء فيه من آراء ومواقف وهو يأخذ من الخطابة أيضا توجيه السلوك أو العمل والإعداد له والحضّ إليه ولكنه يظل مختلفا عن الخطابة والجدل من جهة بكسره للثنائية التقليدية وجمعه بين التأثير النظري والتأثير السلوكي العملي".

- **الحجاج عند ديكرو وأنسكومبير(Décro et Anskoper):**

وسميت نظريتهما بالنظرية اللغوية وقد ظهرت منذ منتصف السبعينات وتهدف إلى تحقيق أغراض مختلفة وقد سميت بالتداولية المدمجة"*، حيث تتأثر الدلالات اللغوية بشروط استخدام اللغة ووضعت هذه النظرية في إطار لسانيات الجملة وذلك بمقتضى مناهجها وقضاياها وأغراضها حيث تمت إعادة تحديد مفهومي الحجة والحجاج تحديدا جذريا يختلف عن المفاهيم الكلاسيكية بل يتناقض معها أحيانا"[22].

"إن هذا المنظور يجعل من البنى الحجاجية ذات طبيعة لغوية داخلة في اللغة تحتوي في بنيتها معلومات يمكن تشبيهها وظيفيا بتحديد مسبق للتسلسلات الخطابية"[23]،وبهذا تتمثل "مسألة الاقتضاء ببساطة بأنه المضمون الذي تبلغه الجملة بكيفية غير صريحة، فإن اقلائل(كفّ زيد عن ضرب زوجته)، فإنه قال: أن زيدا لا يضرب زوجته الآن"[24].

- **الحجاج عند ميشال ميار Michael Méyar (نظرية المسائلة):**

يرى الفيلسوف البلجيكي ميشال ميار أن طبيعة الكلام المبنية على السؤال والجواب هي المنتجة للحجاج، ذلك أن السؤال والجواب يولدان النقاش والتفاوض بين المتحاورين والذي بدوره يمثل الحجاج ولأجل هذا يعطي ميار(Méyar) أهمية قصوى لنظريته لما لها من آثار حجاجية لأنه بالنسبة إليه كل كلامنا قائم على التساؤل

الذي ينتهي في الأخير بعملية الاستنتاج، كما يقول محمد علي القارصي: إن الحجاج متعلق لدى ميار بنظرية المساءلة وهو يشتغل باعتباره ضرورة تؤدي إلى نتيجة أو موقف، تحمل الغير على اتخاذه إزاء مشكل مطروح، في سياق يوفر للمتخاطبين مواد إخبارية ضرورية للقيام بعملية الاستنتاج المتصل بالزوج سؤال/ جواب[25].

تجدر الإشارة هنا أيضا إلى أن ميار قد وظف مفهومين قد سبق أن تطرقنا إليهما في نظرية ديكرو وهما المصرّح به والضمني.

"فالمصرح به هو ظاهر السؤال أما ما هو ضمني في تلك الإمكانات المختلفة للإجابة عن السؤال الواحد"[26]، والمقصود هنا أن الكلام المصرح به هو السؤال المطروح، أما الضمني فهو الإجابة المنتظرة، ومن خلال هذين المفهومين استطاع ميار أن يستنتج مفهوم الحجاج في كتابه: المنطق واللغة والحجاج"، حيث قال: "الحجاج هو دراسة العلاقة بين الكلام الظاهر والضمني"، بمعنى دراسة العلاقة القائمة بين السؤال والجواب، وهذا ما ذكرناه سابقا في بداية هذه النظرية وهو أن في السؤال والجواب يكون النقاش والجدال المرادفان للحجاج.

- **الحجاج والمجاز عند ميار:**

زيادة على اهتمام ميار بنظرية المساءلة، فإنه يتفق أيضا مع أستاذه بيرلمان حول أهمية الصور البلاغية في الحجاج وهي النقطة التي تهمنا اكثر في هذه الدراسة، إذ أن ميار يعترف بالدور بالفعال الذي تلعبه البلاغة في الحجاج وخاصة المجاز إلى درجة أنه يعتبر كل بلاغة حجاجا وبالعكس أي أنه بعبارة أخرى-يطابق بين المفهومين إذ هما الحجاج والبلاغة يهدفان في نظره إلى تضييق شقة الخلاف بين المتحاورين والمتخاطبين أو إلغائها"[27]، فبالنسبة إلى ميار الصور المجازية تعتبر مكونا أساسا في إقناع المتلقي وبالتالي تقريب المسافة بينه وبين المتكلم والاتفاق مع هذا الآخرحول وجهة نظره، وهذا ما عبر عنه ميار أثناء تعريفه للمجاز ودوره في الحجاج، حيث قال إنه- أي المجاز- ينشئ المعنى ويهتم كل من لا يشارك المتكلم وجهة نظره، وهو بذلك وسيلة للتعبير عن الأهواء والانفعالات والأحاسيس التي تمثل صورا من الإنسان، مثلما يمثل المجاز صورة من الأسلوب، وإذا ما بحثنا في الأعمال العربية حول الحجاج لوجدنا من يتفق مع ميار حول دور المجاز في الحجاج أمثال طه عبد الرحمن الذي عبر عن هذه الفكرة في كتابه:" اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" بقوله:" فلا حجاج بغير مجاز"[28]، والدكتور عبد السلام عشير الذي يقول:" وأما المجاز فيؤدي إلى الافتراض يؤول إلى الجدل والنقاش وإلى التعارض الخصب الذي يتوجبه الحجاج"[29]،وبهذا فإننا نجد أن المجاز هو أساس الحجاج، وهوذو وظائف متعددة سواء من ناحية إقناع القارئ، أو من ناحية تعبير المتكلم عن أحاسيسه ومشاعره أو من ناحية تزيين الخطاب بالصور المؤثرة.

وتشير معظم الدراسات إلى تداخل هذا الحقل مع حقول معرفية أخرى يشارك في تنمية البحث فيها دارسون من مختلف الاتجاهات(لسانيات، بلاغة، منطق، سيميائية، علم الاجتماع الفن...) وهي كلها تخصصات تعنى بشروط التبليغ والتواصل، والاهتمام بالمخاطب، وأفعال الخطاب وشروط إنتاجه والتأثير وقصد المتكلم والسياق...ويمكن أن نجمل جوهر التداولية من خلال مقولة:" دافيد هيوم" التالية:" هدف البلاغة هو الإقناع،

وهدف التاريخ هو التعليم،أما هدف الشعر فهو الإقناع من خلال الانفعال والخيال، وينبغي أن توجد هذه الغايات بداخلنا ونحن نتصدى بالحكم على هذه الأعمال(الوسائل) ونجاحها في الوصول إلى هدف الأهداف(الغايات)".

تحليل مقامة [30]من مقاماته:

الحجج المبينة للواقع:

1- شاهد حال (الحقائق):

ونجد في مقامة الوهراني حيث يقول: "دخلت مدينة صقلية في الأيام المثولية فرأيتها محافل الأوصاف على طريق الانصاف فعشقها شيطاني..."[31].

ويتضح لنا من ههنا كيف أن الكاتب قد عايش المشهد وعايشه بكل تفاصيله فهو هنا يستطيع أن يضع المتلقي في الصورة وكأنه يشاهد ويتفرج على وقائع الأحداث حقيقة.

كما نجد قوله: "حضرت يوما في بعض بساتينها مع طائفة من اهل دينها...."[32].

فإن راوي الأحداث لما يكون حاضراً ينقُلها للمتلقي كما هي، ولعلّ أحسن دليل على ذلك: الفعل: حضرت الذي يدل على معايشة الأحداث ومعايشتها ونقلها دون مغالطة أو نسيان.

2- النموذج:

يتأثر كثير من الأشخاص بسلوكات وأفكار المشاهير فيتخذونها نموذجا لهم يمشون على منوالها، ونجد الأمر ذاته عند المؤلفين الذين يحاولون دوما النسج على طريقة سابقيهم ممن لمع بريقهم في الكتابة، وفي هذا المعنى نجد ابن الأثير يقول: "....هذا الضّرب من المعاني التي ينتجها المحدثون هو الذي يُحتذى به على منوال سابق ومنهج مطروق"[33]، ولعل النص القرآني بقداسته هو أفضل نص يحتذى به،وهذا ما نجده عند الوهراني في هذه المقامة، حيث إنه مشبع بثقافة قرآنية جعلته يوظفه في كتابته يقول:"...فقالوا يا أبا الوليد أنت حجر محكنا وبوتقة سبكنا وها نحن سائلون ليذهب عنا دياجي الغيهب ففضل من يستحق وعيب ليميز الله الخبيث من الطيب"[34]،وهذا المعنى مطروق في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[35]، وذلك ما نمّق كلامه وجعله عذبا سائغا ونجد من القرآن كذلك قوله: "نزّه نفسه عن الرّضا والولائم، فلا تأخذه في الله لومة لائم"[36]،وهو نموذج من قوله تعالى:﴿ **يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ** ﴾[37] ،وبهذا يكون قد لفت انتباه المتلقي وأثر فيه.

الاستشهاد:

لا يمكن لأي مؤلف ان يستغني عن ظاهرة الاستشهاد في كتاباته من أجل الدّلالة على صحّة أقواله وإقناع متلقيه وذلك باستعمال حجج وبراهين مختلفة سواء من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الشعر.

ونجد الوهراني في مقامتنا هته لا يستغني عنه حيث نجده يقول:

وما كان قيس هلكه هلك واحد

ولكنه بنيان قوم تهدّما[38]

وهذا البيت مطروق عند قيس بن عاصم عبدة بن الطيب:

وما كان قيس هلكه هلك واحد

ولكن بنيان قوم تهدّما

يؤكد الوهراني صدق قوله ويوضح مقاله بتقديم الشعر فيلبسه حلة وبهاءً

ما نجد البيت الذي يقول فيه:

يريك البشاشة عند اللقاء

ويريك في السّر برْيَ القلمِ[39]

الروابط الحجاجية هي المكونات اللغوية المختلفة للجملة والتي يمكن من خلالها تحديد طرق الرّبط بين النتيجة وحُجّتها، إذ أنّ هذه المكونات اللغوية هي ما يُعرف أو يُسمى بـ الروابط و"العوامل الحجاجية" التي تحدّد طرق الربط بين النتيجة وحجتها[40]، وقد اهتم الباحثان ديكرو وانسكومبر بهذه المكوّنات نظراً لفائدتها في إحداث الانسجام في الخطاب وقيادة المستمع إلى الاتجاه الذي يرومه المتكلم ونجد منها:

1- الروابط المدرجة للحجج:

تعدّ ألفاظ التعليل من الأدوات اللغوية التي استعملها الوهراني لتركيب خطابه الحجاجي وأهمها:

الرابط الحجاجي لام التعليل:

تعدّ لام التعليل من الروابط الحجاجية التي تربط بين النتيجة والحجة ولدعم تبرير النتيجة ونجد مثلها:" وها نحن سائلون ليذهب عنا دياجي الغيهب"[41].

النتيجة: ذهاب دياجي الغيهب السؤال للذهاب

الرابط الحجاجي: لام التعليل

الحجة: ذهاب دياجي الغيهب

وكذلك قوله: ليميز الله الخبيث من الطيب"[42]

النتيجة: تمييز الله للخبيث من الطيب

الرابط الحجاجي: لام التعليل

الحجة: فضل من يستحق ذلك ولاشك أن لام التعليل قد حقت انسجاما نصيا وأعطت القول وجاهة وقوة.

روابط الحجاج التساوقية:

وهي روابط حجاجية تقوم بالربط بين الحجج والتنسيق بينها منها: حروف العطف"الواو" و""م" إذ تعملُ على ترتيب الحجج ونسجها في خطاب واحد متكامل.

1- الواو:

وتعمل على الربط النّسقي أفقيا على عكس السلك الحجاجي "وقد وردت في قول الوهراني "وهو بيت القضا وكلمة حكم وعدل ورضا، نزّه نفسه عن الرّشا والولائم فلا تأخذه في الله لومة لائم"[43]،حيث نلاحظ من خلالما سبق ان الحجج متسقة وغير منفصلة وكذلك كل حجة تقوم بتقوية الحجة الأخرى ونجدها أيضا في قوله: "ويضيع مواقيت الصلاة، ويمنع بواقيت الصلات، لا يرثي للغريب ولا يتوجع ولا يُؤسي ولا يسأل"[44].

وهذه الروابط كلها يأتي للتأثير في المتلقي وإقناعه.

كما يستعمل الوهراني رابطا حجاجيا آخر وهو:

الفاء: فنجده يقول: "على طريق فرأيتها محافل الأوصاف على طريق الإنصاف فعشقها شيطاني فأقمتها مقام أوطاني فحضرتُ يوما في بعض بساتينها مع طائفة من أهل دينها"[45].

يُكثر الوهراني من استعمال هذا الرابط الحجاجي كلما دعت لحاجة إلى استعماله لأنه يساعد في اتساق الكلام .

أمّا إذا عرّجنا إلى دراسة الحجاج من منظور بلاغي فلا يمكننا أن نغض الطرف عن الاستعارة التي تعدّ مركز الحجاج ومن أهم آلياته نظراً لما تحققه من نتائج إيجابية في تقريب المعنى،إذ ذهن القارئ وهو ما ذهب إليه طه عبد الرحمن بالقول: "العلاقة الاستعارية هي أدل ضروب المجاز على ماهية الحجاج"[46].

وما كان قيسُ هلكه هلك واحد

ولكنه بنيان قوم تهدّما

ففي عبارة (بنيان قوم تهدّما) استعارة حلت شبه الكاتب الرجل بالبنيان الصلب الذي يغدر أهله جميعا إذا ما سقط وغاب، فذكر المشبه به البنيان وحذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية.

ولا نجد استعارة أخرى في هذه المقامة غير هته، إلا أن التشبيهات كثيرة ونجد منها:

"فقلنا له ما تقول في القاضي ابن رجاء؟ قال: مصباح دجى"[47].

وعبارة(مصباح دجى) تشبيه بليغ زاد الكلام قوة وجمالا وتنميقا، وكذلك فيما قال: "قال: لن يبقى من العلم بعد موته بقية وكأنه بدر تم كسفه وطوب علم نسف وبحر فقد غاض ونهر أدب فاض..." ، وكلها تشبيهات ذكرت فزادت المعنى تأثيراً وبلاغة وحجاجية ما بعدها حجاجية.

وعلى العموم، فإن خطابات ركن الدين الوهراني حجاجية إلى حدّ كبير سواء ما ذكرناه منها ولم نذكر؛ إذ أنّ الحجاج ضرورة حتمية وآلية لابد منها في جميع مجالات الحياة(إعلام،سياسة، دعاية، سيكولوجيا..)فلا مفرّ

منه في تقديم طرائق الإقناع التي يسلكها المتكلم، فقد اشتملت مقامات الوهراني على وسائل عدّة، ومن صور الإقناع في المتلقي حيث تعدّدت واختلفت الروابط والعوامل الحجاجية في مقامات الوهراني، وهذا نظراً لدورها في انسجام الخطاب الحجاجي وتوجيه الخطاب المقامي وجهة قوية من ناحية أخرى اشتملت على أساليب أخرى (الاستفهام، الأمر، النهي...)، إذ رأينا كيف توجه القول حجاجيا، وكذا اشتمالها على صيغ لسانية بلاغية قوية.

الهوامش:

[1]- ابن منظور: لسان العرب،دار صادر، بيروت- لبنان، ط1، 1997م، مج2، مادة حجج، ص27، 28.

[2]- محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، منشورات دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2005، ص19.

[3]-أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم،دار العلم والثقافة، مصر، دت، ص70.

[4]-طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998، ص226.

[5]- المرجع نفسه، ص226.

[6]-الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم سورة النمل أنموذجا،مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، عدد12 ديسمبر، 1997، ص330.

[7]-عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ط1، 2004، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ص456.

[8]-المرجع نفسه، ص457.

[9]- أبو الوليد الباجي، المخارج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد التركي، ط2، دار المغرب الإسلامي، المغرب، 1987، ص8.

[10]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص226.

[11]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع والإعلان، دت، ج3، ص31 ، 32 نقلا عن عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ج1، ص9.

[12]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع والإعلان، دت، ج3، ص197.

[13]- حافظ إسماعيل العلوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الجزء الرابع، ص9.

[14]- المرجع نفسه، ص9.

[15]-أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006، ص49.

[16]-جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط، 2000، ص126.

[17]-د.مجدي الكيلاني، تاريخ الفلسفة من منظور معاصر، دار التنوير، ط1، 2008، ص85.

[18]-هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، دط، دت، ص237.

[19]-المرجع السابق، ص244.

[20]-أعراب الحجاج والاستدلال الحجاجي،

[21]-د/سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ط1، 2008م، ص99.

[*] التداولية المدمجة حسب المعجم الموسوعي للتداولية نظرية دلالية تدمج مظاهر التلفظ في السنة اللسانية(بمعنى اللسان Langue عند دي سوسير 1968) وليست مظاهر التلفظ في بعض وجوهها سوى عوامل حجاجية تندرج في الأقوال فمتكيف تأويلها وفق غاية المتكلم(صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص20).

[22]- كريستيان بلانتان، الحجاج، ترجمة عبد القادر المهيري، مراجعة عبد الله صولة، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، ص117.

[23]- صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر،دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 2008، ص18.

[24]- جاك موشلار، آن ربل، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دعفوس، ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة،دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، تموز يوليو، 2003، ص47.

[25]- فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، ص394.

[26]- نفسه، ص395-394.

[27]- سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص136.

[28]-طه عبد الرحمن، اللسان والميزان(التكوثر العقلي)، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000، الدار البيضاء، ص232.

[29]- عبد السلام عشي، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006، ص209.

[30]-ركن الدين الوهراني، مناماتات الوهراني ومقاماته ورسائله.

[31]-المرجع نفسه، ص219.

[32]- المرجع نفسه، ص219.

[33]- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدم له وعلق عليه أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، ط2، 1983، منشورات دار الرفاع، الرياض، ج2، ص58.

[34]-الوهراني

[35]- القرآن الكريم، سورة الأنفال، ص37 رواية ورش عن نافع.

[36]-ركن الدين الوهراني...، ص219.

[37]- القرآن الكريم، سورة المائدة54.

[38]- ركن الدين الوهراني...، ص220.

[39]- المرجع نفسه، ص221.

[40]-شكري المبخوت،

[41]-ركن الدين الوهراني، ص219.

[42]-المرجع نفسه، ص219.

[43]-الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته، ص219.

[44]- المرجع نفسه، ص219.

[45]-الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته، ص219.

[46]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي ، ط1، 2000، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص233.

[47]- الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته، ص220.